حديث عن مدين
والوادى المقدس طوى

obeikandl.com

obeikandl.com

حديث عن مدين والوادى المقدس طوى

وحيث ذكر المفسرون أن موسى لما عزم العودة إلي مصر استأذن صهره فقال له : لك ما ولدت الغنم من قالب ألوان أى : ما خرج منها على غير لونها فضربها موسى بعصاه عندما كانت تنزل الماء فأنتجت كلها قوالب ألوان والتى كانت تلد واحدة ولدت اثنين أو ثلاثة فسار بها موسى معه وهو راجع إلى مصر وهنا قد يأتينا سؤال كيف يعود موسى إلى مصر بعد عشر سنين وهو قد قتل واحدًا منهم أفلا يخشى من القصاص ؟ ونقول : إن نظام الحكم فى مصر كان ديموقراطيًا بمنطق هذا العصر الذى نحن فيه وحيث كانت العقوبة تسقط بمرور عشر سنوات والقوانين كانت ثابتة ونظام الحكم مستقرًا وفرعون مطاعًا فى قومه لأنهم يعتقدونه إلهًا وهذا هو السبب فى رسالة موسى وفى غضب الله سبحانه على فرعون ، وحيث إن فرعون لقى موسى وعاتبه ولكنه لم يعاقبه لسقوط العقوبة بمضى المدة .

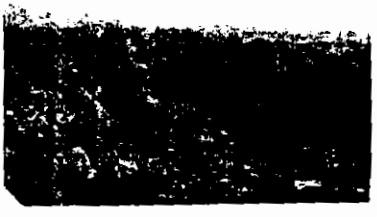

يقول ابن كثير : سار موسى بأهله فى ليلة مطيرة مظلمة باردة فنزل منزلاً فجعل كلما أورى زنده لا يضىء شيئًا فتعجب من ذلك فبينما هو كذلك إذ ﴿آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ أى رأى نارًا تضىء على بعد : ﴿ قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾، فطلب من أهله أن يظلوا مكانهم حتى يذهب إلى النار ويعود إليهم بما يدفئهم فى هذه الليلة الشاتية الباردة خاصة وأنهم قد أضلوا الطريق فذهب إلى النار فلما كان عندها ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا

نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ ﴾ ، أى: جانب الوادى مما يلى الجبل عن يمينه من ناحية الغرب ، قال ابن كثير : إن موسى قصد نارًا متجهًا إلى القبلة والجبل الغربى إلى يمينه وهو تفسير يتعلق بتصور الموقع والمكان فلما رأى موسى عليه السلام أن النار تضطرم فى شجرة خضراء فى لحف الجبل مما يلى الوادى فوقف باهتًا متحيرًا فى أمرها فناداه ربه ﴿ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ ، قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود : قال أرأيت الشجرة التى نودى منها موسى عليه السلام سمرة خضراء ترف ، إسناده مقارب وقال محمد بن إسحاق عن بعض من لا يهتم عن وهب بن منبه قال : شجرة من العليق وبعض أهل الكتاب يقول : إنها من العوسج وقال قتادة : هى من العوسج ﴿ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ أى أن الذى يخاطبك هو الله رب العالمين الفعال لما شاء لا إله إلا هو ولا رب سواه تعالى وتقدس وتنزه عن مماثلة المخلوقات فى ذاته وصفاته وأفعاله وأقواله سبحانه وتعالى .

﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ التى فى يدك كما قرره على ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ والمعنى أما هذه عصاك التى تعرفها ؟ ألقها .

والخلاصة فى تحديد مكان الوادى المقدس طوى : إن الله سبحانه ذكر هذا المكان فى الكتاب الكريم عدة مرات وحدد الكتاب الكريم مكانه وأشار إلى ذلك فى الآيات الكريمة والتى تعرضنا لها ولأقوال المفسرين فيها حتى لا نقول فى كتاب الله سبحانه بما لا نعلم ولا نقدر عليه عرضنا لأقوال المفسرين وأقوال أهل الكتاب وقلنا : إن البحوث فى هذه الموضوعات كلها قد قام بها

الكتاب من غير المسلمين أمثال نعوم شقير والكاتب الأمريكى هكنز وغيرهم.

يقول نعوم شقير فى كتابه تاريخ سيناء ص٤٧٨ بعنوان «مباحث الخروج»: ولنعد إلى الخروج فإن هذا الحادث العجيب على عظم أهميته لا نعلم عنه شيئًا صريحًا إلا عن طريق التوراة والقرآن ولم يعثر بعد على أثر من الآثار المصرية أو السورية يشير إليه صريحًا ويرجع عدم وجود أثر له فى مصر لأن ملوكها لم يحيوا من الحوادث إلا ما خلد لهم الفخر وطيب الذكر لا الخيبة والفشل كحادث الخروج ؟.

هذا وقد باد سكان سيناء الأصليون وبادت لغتهم وتغيرت أسماء الأمكنة التى مر بها بنو إسرائيل عند اختراقهم سيناء حتى إنه لم يكد يبقى مكان معروف باسمه القديم لذلك اختلف الباحثون فى تفاصيل خبر الخروج فى الملك الذى خرج الإسرائيليون فى عهده والمكان الذى خرجوا منه من مصر والمكان الذى عبروا منه إلى البحر الأحمر والطريق التى ساروا بها فى سيناء والمكان الذى حاربهم فيه العمالقة والجبل الذى نزلت عليه الشريعة والبلاد التى تاه بها الإسرائيليون وعدد الإسرائيليين الذين خرجوا من مصر وحقيقة المن والسلوى وغير ذلك من مباحث الخروج .

ولعلماء التوراة والمؤرخين المحققين فى هذه المباحث آراء وتخمينات كثيرة المعنا إلى بعضها فى باب الجغرافية وأظهر تلك الآراء :

أن الإسرائيليين خرجوا من مصر فى عهد مرنبتاح بن رمسيس الثانى من ملوك الدولة التاسعة عشرة وإن مدينة رعمسيس التى خرجوا منها هى الخرائب المعروفة بتل المسخوطة فى مديرية الشرقية وأنهم عبروا البحر الأحمر بالقرب من مدينة السويس وانشق البحر الأحمر بريح عاصفة عند عبور بنى إسرائيل ورجوعه عند مرور مركبات فرعون يعللان بالمد والجذر المشاهدين فى

رأس البحر الأحمر وأنهم بعد دخولهم سيناء ساروا بطريق البتراء فأتوا عيون موسى فعين الهواره (مآره) فعين غرندل (إيليم) فسهل المرخا (برية سين) فوادى فيران (رفيديم) وأن العمالقة حاربوهم فى هذا الوادى قرب العين فى المكان المعرف الآن بحصى الخطاطين وأنهم ساروا من هذا الوادى إلى جبل موسى وأن جبل الصفصافة هو الجبل الذى وقف عليه موسى لتلقى الوصايا العشر وأن سهل الراحة تجاهه هو السهل الذى وقف فيه الإسرائيليون وتلقوا الشريعة من فم موسى وأنهم بعد أن قضوا نحو سنة عند جبل موسى عادوا إلى طريق البتراء فمروا بعين حدرة «حضيروت» وهبطوا شاطئ خليج العقبة عند النويبع وساروا إلى عصيون جابر وأيله على رأس الخليج .

ومن هناك ساروا بوادى العربة «أو بوادى طابا أو وادى العين» إلى أن أتوا وادى الجرافى ثم ساروا منه شمالاً إلى برية عين قديس فقضوا فيها بقية الأربعين سنة ثم عادوا إلى عصيون جابر وأيله وداروا حول بلاد أدوم من الشرق فذهبوا بوادى اليتم إلى أن أتوا طريق دمشق الشام فساروا فيها إلى الشرق شرق الأردن ثم عبروا هذا النهر إلى أرض الميعاد وإن المن الذى كان طعامهم كل مدة تغربهم فى سيناء ليس صمغ الطرفاء الذى قال به البعض لأن هذا لا يظهر إلا عند اشتداد الحر فى شهرى يونيو ويوليو وكل ما يمكن جمعه فى السنة لا يكفى شخصًا واحدًا ستة أشهر بل هو حب عجيب كان ينزل لهم مع الندى ويقول الكاتب هكنز هوكبزر الكزبرة أبيض وطعمه كرقاق بعسل وأن طائر السلوى الذى نزل عليهم فى برية سين فى عين حضيروت هو طائر السمان أو طائر الجراد .

وقد نشر الإفرنج عدة كتب فى هذه المباحث كلها ومن أنفسها وأحدثها الكتاب (من النيل إلى نبو) للعلامة الدكتور هكنز من كبار المرسلين الأمريكيين

فى بيروت نشره فى أمريكا سنة ١٩١١م وبسط فيه آراءه وأهم آراء الباحثين فى جميع المواضيع المشار إليها ولست أقصد في كتابى هذا أبسط تلك الآراء وإبداء رأيى فيها كلها لأنه لا يسع الكاتب أن يبدى رأيًا مسموعًا فى مثل هذه المباحث الهامة الغامضة إلا إذا سار فى طريق الخروج من أولها إلى آخرها وكان له الإلمام التام بجغرافية مصر وتاريخها الحديث والقديم وفى تاريخ الكتاب المقدس وتفسيره كالدكتور هكنز ولكن لما كان موضوع كتابى هذا يقضى على بطرق هذه المواضيع وكنت قد زرت أكثر الأمكنة الواقع عليها الخلاف لم أر بدًا من إلقاء دلوى فى الدلاء وأن أقول كلمتى ضمن الأمور الآتية وهى :

١ـ عدد الإسرائيليين الذين خرجوا من مصر بطريق سيناء .

٢ـ طريق موسى أو طريق الإسرائيليين فى سيناء .

٣ـ الجبل الذى نزلت عليه الوصايا العشر .

٤ـ البلاد التى تاه بها بنو إسرائيل .

ثم تحدث نعوم شقير عن رأيه فى عدد الإسرائيليين فقال : أما عدد الإسرائيليين الذين خرجوا من مصر بقيادة موسى عليه السلام فظاهر عبارة الكتاب أنهم كانوا ستمائة ألف ماش من الرجال ماعدا الأولاد (خروج٣٧ : ١٢) .

وإذا حسبنا النساء والأولاد كان عددهم حوالى ثلاثة ملايين نسمة ماعدا البهائم .

وليس فى قواد البشر قائد يستطيع جمع جيش كهذا مقداره ثم الفرار به من وجه ملك قوى شديد البطش كفرعون مصر وإن وجد هذا القائد فإنه يستحيل أن يعد لجيش كهذا الماء والزاد والركائب فى برية مجدبة كبرية سيناء

كانت منذ الخليقة وما تزال إلى اليوم قليلة المياه قليلة النبت والزرع والضرع وعدد السكان وقد تقدم لنا أن سكان سيناء لا يزيد عددهم عن خمسين ألف نسمة وأن كان بلاد الطور التى اخترقها الإسرائيليون لا يزيدون عن أحد عشر ألف نسمة ولا نعلم أن عدد سكان سيناء كان فى أى عصر من عصور التاريخ يزيد كثيراً عما هو الآن ، ولأن طبيعة جو سيناء كانت غير ما هى الآن .

إذ يستحيل تسيير جيش هذا مقداره فى برية سيناء إلا بتقدير سلسلة من العجائب الإلهية كل مدة بقائهم فى سيناء ، وهذا مما لا تتطلبه روايه الكتاب هذا كلام نعوم شقير عن عدد الإسرائيليين .

ونحن نقول أن الذى فسر كل الغموض فى قصة موسى عليه السلام هو القرآن الكريم فهو الذى يقص الحقيقة كلها ويظهر الحق من الباطل .

لقد قال سبحانه وتعالى فى سورة النمل : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ويقول سبحانه عن المعجزة التى أنكرها نعوم شقير وأمثاله من الكتاب الذين لا يرضون بالقرآن الكريم مرجعًا : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٠ ـ ٨٢].

ويقول سبحانه فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة: ٦٠] .

وقوله سبحانه فى سورة البقرة قبل ذلك : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥٧] .

ولما كان القرآن الكريم مصدقًا لما بين يديه من الكتب السابقة ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ فقد أوضح الكتاب الكريم أن موسى عليه السلام كان يسير ببنى إسرائيل فى سيناء بمعجزة ربانية وبسلسة متصلة من العجائب الربانية فالعصا عجيبة ومعجزة وخرق البحر عجيبة ومعجزة ليست حركة المد والجزر كما يقول نعوم شقير نقلاً عن رواية التوراة وعن كتاب الإفرنج ، وكذلك نزول المن والسلوى معجزة ربانية ، وانفجار الماء من الحجر الذى ضربه موسى بالعصا معجزة وعجيبة ربانية ، فلا يهم أن يكون عدد الإسرائيليين ثلاثة ملايين أو عشرين ألفًا ، لأن الذى يتولى الرعاية هو الله سبحانه وتعالى ، وهو الرزاق ذو القوة المتين ، يقول ابن كثير فى تفسيره فى سورة البقرة : وأما السلوى فقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : السلوى طائر يشبه السمان كانوا يأكلون منه وقال ابن كثير عن وهب بن منبه قال : سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام الطعام فقال الله لأطعمنهم أقل لحم يعرف فى الأرض ، فأرسل عليهم ريحًا فأذرت عند مساكنهم السلوى وهو السمانى قدر ميل فى ميل قدر رمح فى السماء فخبثوا للغد فنتن اللحم وخنز الخبز وقال السدى : لما دخلوا بنو إسرائيل التيه قالوا لموسى عليه السلام: كيف لنا بما ههنا أين الطعام ؟ فأنزل الله عليهم المن ، فكان ينزل على شجرة الزنجبيل والسلوى ، وهو طائر يشبه السمانى أكبر منه ، فكان يأتى أحدهم فينظر إلى الطير فإن كان سمينًا ذبحه وإلا أرسله فإذا سمن أتاه، ثم قالوا لموسى : هذا الطعام فأين الماء أين الظل ؟ فظلل عليهم الغمام ، وأمر الله موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا قد علم كل أناس مشربهم ، كلوا واشربوا من رزق الله فشرب كل سبط من عين ثم قالوا هذا الظل فأين اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطول معهم يعنى تعيش زمنًا طويلاً ، وتزيد فى الطول كما يزيد الصبيان ولا يتخرق لهم ثوب فذلك قوله

تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ وقوله : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ وروى عن وهب ابن منبه وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو ما قاله السدى : وقال سنيد عن حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس : خلق لهم فى التيه ثياب لا تخرق ولا تدرن ولا تبلى قال ابن جريج : فكان الرجل إذا أخذ من المن والسلوى فوق طعام يوم فسد إلا أنهم كانوا يأخذون فى يوم الجمعة طعام يوم السبت فلا يصبح فاسداً قال ابن عطية السلوى طير بإجماع المفسرين وقال بعضهم : إنه العسل وقال ابن كثير قال الله سبحانه : ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ أمر إباحة وإرشاد وامتنان ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ أى : أنهم كفروا بنعمة الله سبحانه وما شكروا وطلبوا من موسى عليه السلام أن يأتيهم بأطعمة مختلفة من البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ [البقرة: ٦١].

ويقال : إنهم رجعوا مصر بعد أن تلقوا التوراة ، وبعد مضى عام وقليل فى صحراء الطور ثم سكنوا مصر حتى أمرهم بدخول بيت المقدس فهذه كلها آيات بينات دلائلها ظاهرات على قدرة الله سبحانه وأنه كان يعطى موسى وبنى إسرائيل معجزات ربانية ويصحبهم فى سيرهم مع موسى عليه السلام فى التيه بالرزق والكساء ، ويظلل عليهم السماء فلا يهم عددهم ولكن المهم أن يعتبروا ، ويعتبر الكتاب المحدثون الذين يمرون على هذه القصة دون النظر إلى جوانب الإعجاز فيها والتى لم يظهرها غير القرآن الكريم .

ونعود معك أخى القارئ الكريم إلى حديث نعوم شقير عن تحديد الأماكن التى حدثت بها أحداث قصة موسى عليه السلام مع بنى إسرائيل .

إن رواية التوراة حددت عدد الذين خرجوا مع موسى من مصر بستمائة ألف من الذكور فإذا أضفنا النساء فسيكون العدد قريبًا من ثلاثة ملايين نسمة تقريبًا إذ يستحيل تسيير جيش هذا مقداره فى برية سيناء إلا بتقدير سلسلة متصلة من العجائب والمعجزات الإلهية كل مدة بقائهم فى سيناء وهذا ما لا تتطلبه رواية الكتاب وقد قلنا : إن القرآن الكريم أثبت أنهم كانوا يمشون مع موسى عليه السلام بسلسلة متصلة من العجائب والمعجزات الإلهية ، ثم يمضى نعوم شقير فيقول : وفوق ذلك فإننا نرى من رواية الكتاب أن العمالقة عند محاربتهم الإسرائيليين فى ريفيديم وقفوا فى وجههم النهار بطوله إلى مغيب الشمس ، وقد قدمنا أن سكان بلاد الطور ما كانوا فى عصر من العصور أكثر من عشرين ألف نسمة أو نحو ٣٠٠٠ مقاتل ، فلو كان عدد مقاتلى الإسرائيليين ستمائة ألف كما هو ظاهر الكتاب ما أمكن العمالقة الوقوف فى وجههم كل تلك المدة بل ما كانوا وقفوا فى وجههم البتة : وعليه فلا بد أن يكون المراد من عبارة الكتاب غير ظاهرها وهذا هو رأى أكثر المحققين الذين درسوا الموضوع من أرضه ومن هؤلاء العلامة بترى المار ذكره وقد أتى فى كتابه : « مباحث فى سيناء » على تفسير لهذا المعنى فقال : إن لفظة ألف تطلق فى التوراة على العدد المعروف كما تطلق على عائلة أو خميمة وتناول هذا التفسير الدكتور هكنز فى كتابه المشار إليه آنفا فأتى بعدة أدلة من الكتاب على صحة رأى بترى فى علمه ألف ثم طبق رواية التوراة عليه فكان عدد الإسرائيليين الذين خرجوا من مصر نحو مائة ألف نسمة وهذا العدد أيضًا فى رأيى أكثر مما تتحمله حال سيناء وتقتضيه رواية التوراة وعليه فلابد لعلماء التوراة من استئناف البحث فى هذا الموضوع وإيجاد تفسير جديد

للأرقام الواردة فى هذا الكتاب يحل هذا المعنى تمام الحل حتى لا يزيد عدد الإسرائيليين الذين اجتازوا سيناء عن ستة آلاف مقاتل أو عشرين ألف نسمة على أعظم تقدير والله أعلم ، انتهى كلام نعوم شقير .

أخى القارئ الكريم : إن الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله محمداً ﷺ بالحق والبيان والحل الكامل الشامل لكل مشاكل الإنسان على الأرض وإقامة الفرائض واجتناب النواهى، ولو أن الناس صدقوا ما جاءهم به ربهم على لسان نبيهم ﷺ لم يبق لديهم أى مشكلة عقلية أو سمعية أو بصرية لم تبق هناك مشكلة اقتصادية ولا سياسية ولا اجتماعية ، لم تبق هناك مشكلة عقائدية أو سيتافيزيقية «**لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدى أبداً كتاب الله وسنتى ألا هل بلغت اللهم فاشهد**» إن من يترك هدى محمد ﷺ يحصد الشقاء فى الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وما كان الشقاء المسيطر على العالم كله اليوم إلا من مخالفة أوامر رسول الله ﷺ .

ومن هنا فإن القرآن الكريم يصحح لبنى إسرائيل ومن بعدهم كثيراً من الذين كتبوه وغيروه وحرفوه وبدلوه .

ونعوم شقير ككاتب من كتاب أهل الكتاب لا يتخذ من القرآن المرجع المعول عليه بل يعتمد على المراجع التى دونها فى نهاية كتابه تاريخ سيناء ، ثم يعمل قلمه وفكره فى توضيح رؤيته وكثيراً ما يصيب ولكنه كثيراً ما يخطئ بشهادة العقل والشرع والواقع فهو يرى أن بنى إسرائيل ساروا فى سيناء فى طريق البتراء ليبتعدوا عن حاميات فرعون الموجودة فى طريق الحج المصرى مع علمه بأن موسى عليه السلام خرج من مصر بعد أن هلك فرعون وجيشه وبعد أن أورث الله بنى إسرائيل ملكهم ، وأن الذى يحرسهم فى

طريقهم هو الله سبحانه .

كذلك لم يتعرض نعوم شقير للطريق الذى رجع فيه موسى من مدين عن طريق ميناء النبك لاعتقاده هو وكل الكتاب الذين نقل عنهم أن مدين كانت فى سيناء علمًا بأن القرآن الكريم قد ذكر أن موسى عليه السلام خرج من البلاد التى يسيطر عليها فرعون ووصل إلى مدين وجاءته الفتاة التى أرسلها له أبوها تدعوه إليه قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٢ ـ ٢٥] .

فأرض مدين غير أرض مصر وهم شعب وحكومة غير شعب مصر وفى سورة طه يقول سبحانه : ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ (٤٠) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه: ٤٠، ٤١] .

لم يتحدث كتاب أهل الكتاب عن طريق عودة موسى من مدين إلى طور سيناء وحيث ناداه ربه فى ليلة شاتية باردة مظلمة وحيث كانت المناداة من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة وهنا بيت القصيد ، المطلوب الآن تحديد مكان الشجرة بجوار طور سيناء حيث قال الله تعالى فى سورة مريم : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥١) وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥١ـ٥٣] .

وقد تحدثنا فى ذلك وقلنا : إن كتاب نعوم شقير وغيره لم يتعرض لمكان

الشجرة والمكان الذى نادى موسى فيه ربه سبحانه وتعالى كما تعرض القرآن الكريم فى الآية السابقة من سورة مريم وفى آيات سورة القصص حيث قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ ﴿٣١﴾ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [القصص: ٢٩-٣٢] .

والآيات الكريمة تشير كما أوضحنا من قبل فى هذا البحث نقلاً عن تفسير ابن كثير وغيره من التفاسير أن موسى عليه السلام سار إلى مدين بهداية ربه وقضى فيها عشر سنوات يرى غنم حميه (والد زوجته) وأنه رجع بعد أن قضى الأجل وانتهت المدة التى يسقط حكم القتل بها ، فلن يحاكم بعد فوات هذه المدة حسب القانون المصرى فى ذلك الوقت ، وأن موسى عليه السلام أخذ قطيعًا من الغنم ، وسار بزوجته وأولاده عائدًا من مدين فى شمال السعودية مقابل مدينة شرم الشيخ ، ودهب وعبر الخليج من ميناء «النبك» أو ميناء نبق فى مراكب . كانت تنقل تجار الأغنام والجمال من السعودية إلى سيناء عبر ميناء النبك وأن موسى عليه السلام كان عائدًا إلى أهله فى مصر حيث كان بنو إسرائيل ، وحيث لم يذكر أحد من المفسرين صراحة مكان وجود بنى إسرائيل بمصر فى عهد موسى عليه السلام والطريق الذى خرجوا منه من مصر إلا أنهم ذكروا أن موسى عليه السلام عبر البحر جنوب مدينة السويس.

●● ●● ●●